



بين الأدب والتاريخ... الطوبونيميا حلقة وصل، والشعر الشعبي أنموذجا

Between Literature and History: Toponymy as a Link, with Popular Poetry as a Case Study

غريب فاطمة الزهراء

المركز الجامعي – صالحى أحمد –

النعامة

ملخص

تعد هذه الدراسة البحثية بمثابة عدسة مكبرة لأحد أبرز وأحدث المواضيع التي أصبحت اليوم محل اهتمام الدارسين والباحثين في مختلف التخصصات، وهي علم الأماكن أو الطوبونيميا. جاء هذا البحث لتسليط الضوء على ما قدمته هذه الأخيرة من مصادر ونتائج متعلقة بأسماء الأماكن ومواقعها، فلا بد للباحث اليوم أن يعتمد عليها كمحور أساس في دراساته كونها مادة أولية تثري وتعزز البحث العلمي بمواد لا غنى عنها في شتى المجالات، ولا سيما مجال الأدب العربي، وهذا ما عملت عليه في مداخلي الموسومة ب: "بين الأدب والتاريخ... الطوبونيميا حلقة وصل والشعر الشعبي أنموذجا".

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الأدب الشعبي، الطوبونيميا، المكان، القصيدة الشعبية.

Abstract:

This research study is a magnifying glass for one of the most prominent and newest topics that have today become of interest to scholars and researchers in various disciplines, which is the science of places or toponymy. This research came to shed light on the sources and results provided by the latter related to the names of places and their locations. The researcher today must adopt it as a main focus in his studies, as it is a raw material that enriches and enhances scientific research with materials that are indispensable in various fields, especially the field of Arabic literature, and this is what I worked on it in my intervention titled: "Between Literature and History...Toponemia is a link and popular poetry is a model."

Keywords: history, popular literature, toponymy, place, popular poem

مقدمة

نحاول من خلال هذا البحث أن نجتمع بين الأدب الشعبي (شعرا) و التاريخ ، فاتخذت من الطوبونيميا محورا أساسا في هذه المداخلة للمزج بينهما (الأدب الشعبي و التاريخ) ، إذ يشكلان معا نظرة شاملة متكاملة ما بين التاريخ والأدب وقد تناول النقاد مصطلح الطوبونيميا بالتعريف والبحث في علاقاته وتداخله مع الأجناس الأخرى، من ذلك ما ذكره الدكتور الوافي نوحى في تعريفه اللغوي للطوبونيميا قائلا إنها " دراسة الأعلام المكانية (الأعلامية المكانية، العلمية المكانية، المكانية).

وأما معناه الاصطلاحي فهو العلم الذي يهتم بدراسة مجموعة من الأماكن في زمن ما، بغض النظر عن نوع الكتابة التي دونت بها (العربية، المحلية، اللاتينية...الخ)

وعلى نفس المنوال سار رشيد الحسن في كتاباته لتحديد مفهوم الطوبونيميا حيث أشار إلى أنه : علم من العلوم الموضوعية التي تهتم بإدماج المعطيات التاريخية في الواقع المعيشي، فهو علم الأعلام الجغرافية Toponymie أو الأماكينية. كما يمثل عنصرا مساعدا لكشف هوية المجتمعات والشعوب واستعادة ذاكرتها الجماعية والثقافية¹

وبناءً على هذا التعريف، نجد أن الأدب الشعبي أيضا وثق وأرخ لنا ذاكرة الأماكن انطلاقا من أسمائها. لأنه أداة من الأدوات التي ساهمت بشكل كبير في توثيق الذاكرة الجماعية بحذافيرها وتفصيلها.

فكيف تمكن الشعر الشعبي من توظيف أسماء الأماكن في القصيدة الشعبية؟ وما مدى تجلي البعد الطوبونيمي في هذه الأخيرة؟

1. الطوبونيميا بين الأدب الشعبي والتاريخ

1.2. المكان في القصيدة الشعبية

انطلاقا من هذه التساؤلات أخذنا نماذج من قصائد الشاعر الشعبي " عمار لغريب" أصيل ولاية تبسة، مقيم بولاية النعامة، حيث تطرق لنا عبر أبياته في قصيدة نصف الطريق _ خريطة طريق _ إلى رحلة منطلقها الجنوب الغربي الجزائري ذاكرنا لنا محطات هامة وصولا إلى مسقط رأسه. يقول في ذلك:

وارقد بكري ونوضلك مع لفجار واذكر ربي كثير وتصنت ليا
فوت بوقطب لهيه جمه عين لحجار واقصد ارض العقبان هكا مسمية

¹ الصادق زباني، التحولات الطوبونيمية بالمجالات الكتامية من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع، جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة-، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 1، العدد الرابع، ديسمبر 2019، ص 38



واوصل بن خلدون عالم من لكبار و ماتنسى لfdول و الشهبونية
 و بوقزول يجيك في شرق فيالار والحضنة هضاب أرض السهبية
 ما تدخل لبلاد تبقى عاليسار وبريكة تلقاك بالفوروسية
 ويظهرلك لوراس معقل الثوار يحكيك كيفاه جات الحرية
 وتيمقاد المشهور في دخلت بابار عز بلادي صح أصل الشاوية
 وبير مقدم ذاك عرش أولاد خيار وطريق القعقاع كي مثل الحية
 و أوكس معروفة بحمام البخار يبيري ماها من لمرض الجلدية
 واش نقول عليك يا مدينة لآثار وشيخك مسي بيك عند الجمعية

نلاحظ أن الشاعر وظف لنا أسماء الأماكن وهي مناطق ومدن داخل التراب الوطني الجزائري، وانقسم هذا التوظيف إلى قسمين:

فالأول منه جاء اسم المكان أو المنطقة باسمها الصريح المدون على الخريطة مثل:

بوقطب _ عين لحجر _ لfdول _ الشهبونية _ بوقزول _ بريكة _ جبل الأوراس

تيمقاد _ بابار _ بير مقدم _ جبل القعقاع _ أوكس (يوكوس).

أما التوظيف الثاني لأسماء الأماكن فجاء بالألقاب التي تشير وترمز لها سواء من الناحية التاريخية أو الناحية الجغرافية مثلا:

أرض العقبان: هي ما يطلق على مدينة سعيدة كما هو معروف عند العامة من الناس.

بن خلدون: يرمز العالم ابن خلدون إلى مدينة تيارت (فرندة) بحكم استقراره وإقامته بها حيث لاتزال مغارته معلم تاريخي يشهد على ذلك.

فيالار: وهي ولاية تيسمسيلت "أخذت المنطقة تسميتين، الأولى بربرية وهي تيسم سيلت وتعني غروب

الشمس، و فيالار VIALAR في عهد الاستعمار الفرنسي، وتتوسط هذه الولاية الجزء الشمالي الغربي الجزائري، يحدها



شمالا ولايتي الشلف وعين الدفلى ومن الجنوب ولايتي تيارت والجللفة ومن الشرق ولاية المدية، ومن الغرب ولاية غيليزان"2

منطقة الحضنة: الغنية عن التعريف وهي ولاية المسيلة وسبب التسمية يعود الى موقعها الجغرافي الواقع بين سلسلتي الأطلس التلي والأطلس الصحراوي.

وصولا الى آخر محطة في هذه الرحلة وهي مدينة تبسة الأثرية، المعروفة أيضا باسم تيفاست مدينة لأثار: نسبة الى الآثار الرومانية الكثيرة المتواجدة بهذه المنطقة العريقة وأضاف الشاعر إشارة أخرى تدلنا على اسم المدينة وهو العلامة الشيخ العربي التبسي من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فارتبط اسمه بها وارتبط اسمها به كأنما وجهين لعملة واحدة.

2.2. محطات من الجنوب الغربي الجزائري

أما القصيدة الثانية فهي جولة في جنوبنا الغربي الجزائري الكبير انطلاقا من "ولاية النعامة"

لكن هذه الأبيات تقف عند أبرز المحطات الجميلة في صحرائنا الحبيبة، فيقول الشاعر في قصيدة "الجنوب الكبير"

واذا القلب بغا واش ندير	في عقلي النعامة ساكنة ضميري
فالصحراء تربيت وأنا صغير	نتوسع ونزيد في تقديري
مساورة ولا نروح لقيير	غنّامي أنا منيعي وجريري
من خبي ونفوت للمنير	نعاني الحسيان في مسيري

² مصمم من طرف مؤسسة دعم تطوير الرقمنة، ولاية تيسمسيلت، وزارة السياحة والصناعة التقليدية، 2024

[/https://tissemisilt.mta.gov.dz](https://tissemisilt.mta.gov.dz)



وغار جبيلات ذاك قميري	ومتأكد يا الشيخ ملقمير
نستيسر ونزید في ستيسيري	ونروى من ذيك لفقاقير
نقطف لعطور منواويري	محمد والشيخ في زقمير
نحفظ لمتون والبُصيري	ونحفظ لأحكام والتفسير
ويا نفسي بالله لاه تحيري	هَذَا جنوبنا لكبير
وتتهلك لرياح بيا طيري	نقطع لبرور مثل الطير
نعشي لرصام و دواويري	تبسي ومعروف ولد الدير
يحد بلادنا المينيري	ومسقط الراس فالهنشير
ونصلي على الحبيب ذاك خيري	الف صلاة عليك يا البشير

من الأماكن المذكورة في القصيدة:

الساورة: يقصد بها ولاية بشار بوابة صحراء جنوبنا الغربي الجزائري، وفي أصل تسمية الساورة وجدت العديد من الأسباب لعل من أشهرها هو نسبة المنطقة إلى "واد الساورة الذي يأخذ مجراه عند التقاء وادي زوزفانة مع واد قير في مشارف قرية إيقلي ليصل إلى منطقة توات، أو قد تكون أخذت اسمها هذا بسبب صناعة ساكنتها للأساور، لكون كلمة الساورة كلمة عربية مشتقة من السوارة وهي حلية من الذهب مستديرة كالحلق تلبس في المعصم أو الزند كما نجد تفسيراً آخر لتسمية هذه المنطقة بالساورة اجتهد فيه الباحث حمادي عبدالله الإدريسي الذي يرى أن سبب التسمية يعود إلى موضع تجمع قصور وقرى بواحاته على صورة وشكل أساور"³

حاسي خبي: همزة الوصل بين تندوف وبشار وهي قرية تابعة إقليمياً لبلدية أم العسل ثاني بلدية على تراب ولاية تندوف وحاسي المنير أيضاً منطقة تابعة لنفس البلدية والولاية"⁴

³ ينظر: مجدوب موساوي، صورة لمدين الجنوب الغربي الجزائري في الفترة العثمانية من خلال المصادر التاريخية – مدن وادي

الساورة أنموذجاً -، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 7، العدد 1، ص 110

⁴ علي سالم لفقيير، أم العسل (تندوف) مبادرات للخروج من النسيان، موقع جزييرس djazairiss.com، 17-10-2012، أخذ من

الموقع يوم 2023-12-18



ثم نتجه مباشرة إلى ولاية أدرار المعروفة بالتعليم القرآني والزوايا والكتاتيب ومن أبرزها زاوية الشيخ سيدي محمد بلكير وزاوية الشيخ الحسان الموجودة في إن زغمير المذكورة في الأبيات. ومن أهم النقاط التي يجدر بنا الوقوف عندها في القصيدة بالتحديد في البيت السادس

نستيسر ونزيد في ستيسيري ونروى من ذيك لفقاكير

كلمة لفقاكير هنا هي دلالة على طريقة معينة أو نظام قديم للري وهي "عبارة عن سلسلة من الآبار مرتبطة مع بعضها البعض في الأسفل بأنفاق وهذا ما يسمح بعبور المياه إلى البساتين والمزارع" ⁵ وهي تراث واثري بالمنطقة وهذا في حد ذاته عامل يخدم السياحة الصحراوية خاصة والجزائرية عامة، كما أنه يفتح آفاق البحث للطلبة والباحثين في دراساتهم

وهذا من الأهداف التي حققتها الطوبونيميا باعتبارها عدسة مكبرة لعين المكان و كاشف لخصوصياته.

3.2. القصيدة الشعبية توثيق للزمان والمكان:

أما النموذج الأخير في هذه المداخله فهو البيت القصيد الذي جمعت فيه بين الحدث التاريخي والمكان والأدب الشعبي قصيدة " شهيد لم يمت" باعتبارها نص شعري سردي يحكي لنا المكان أو الطريق فهنا نجد أن جوهر "علاقة الطوبونيميا بهذا النص السردى هي علاقة ذات مرجعية تاريخية، أي كل منهما يستمد ابحاثه ومصادره من التاريخ...فالتاريخ بالنسبة للسرد هو مصدر الأحداث والوقائع التي حدثت في زمان و مكان معين، أما الطوبونيميا وعلاقتها بالتاريخ فيمكننا الجزم أنها متقاربة مع علاقتها بالسرد من حيث الأهداف والغاية" ⁶ ومن هذا المنطلق استشهدت في بحثي بهذه القصيدة التي جمعت لنا التاريخ و الزمان والمكان و الحدث والشخصية في تحفة أدبية شعبية تحكي لنا قصة الشهيد البطل "قطيب محمد" والأبيات تقول:

سبحانك يا خالقي عالم لسرار يا الحي القيوم لعزير لواحد

⁵ شيعي أحمد، نظام الري الجزائري " الفقارة" إرث تاريخي يخشى عليه سكان منطقة أدرار من الاندثار، روبرتاج فرانس 24،

https://www.youtube.com/watch?v=K7_B2TfCKdA, 2022

⁶ ينظر: عطاوي شكري- الشافي عبد اللطيف، البعد الطوبونيمي في رواية تاغيت لباديس فوغالي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، د أمينة بلهاشي، المركز الجامعي صالحى أحمد – النعامة، 2023/2022، ص 11



سهلي يا خالقي بجاه المخطر	نكتب لتاريخ قصة مجاهد
ملعين الصفراء نحكي لي صار	تبقى ذكريات لجيل الصاعد
محمد بوقطيب واحد من لبرار	ولي ينكر الخير يسمى جاحد
هذا الراجل عندو قصايص كبار	صابر صبر أيوب و من لحديد صبر داود
يوم 08/07/06 ماي والجو حار	عام 1960 سالو التاريخ واش رافد
سالو مرغاد وسالو عليه لنقار	والمكثر ومزي مزال حي شاهد
وسالو جبال عيسى وسالو عليه مقرار	و زورو الغار لي كان فيه صامد
وسالو لمريرة وسالو عليه لجدار	وسالو البر لي كان ليه قاصد
والتاريخ يكتب على كل حد مادار	والفعل يبقى لتاريخ شاهد
والوفاء بالعهد دين عند لحرار	وهاذ البطل صان و وفى العاهد
وبعد الثورة واصل المسار	وواصل الكفاح حتى استشهد
كان ينزع في قنابل العار	لي تركهم العدو الحاقد
ويوم 28 فيفري حدت لعمار	1970 طلبو مولاه كان واجد
يا ربي ترحم جميع الأبرار	وترحم اللي على الحق جاهد
وتشفع للغريب كاتب لشعار	وترحمو الوالدة والوالد
ونختم بالصلاة على النبي المخطر	وحب الحبيب نور واقد

وكانت هذه القصيدة حلقة وصل بين التاريخ و الأدب الشعبي حيث أنها وثقت لنا العديد من الأماكن التي شهدت معركة من معارك المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي ومن أبرز الأماكن التاريخية الشاهدة على ذلك منطقة العين الصفراء مسقط رأس البطل المقاوم محمد بوقطيب التي تقع "في الجنوب الغربي لولاية النعامة حيث تبعد عن مقرها ب70 كيلو متر، تقع ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي بين الحدود الجنوبية والهضاب العليا الغربية الشمالية



والمنطقة الصحراوية في الجنوب.

ويحدها من الناحية الشمالية جبل عيسى وجنوبا جبل مكث وكذا الكثبان الرملية ومن الناحية الغربية جبل مرغاد⁷. وكل هذه المناطق كانت شاهدة على معركة مزي التاريخية التي كان لها "الأثر الإيجابي على الصعيد الخارجي وعلى المفاوضات وكذا على الموقف الدولي من القضية الجزائرية وتبقى شاهدة على واحدة من الجرائم ضد الإنسانية الأكثر بشاعة التي ارتكبتها المستعمر الفرنسي باستخدامه للأسلحة المحظورة استنادا إلى عدة بحوث ودراسات تاريخية ومصادر وشهادات تم جمعها وتدوينها.⁸

خاتمة

- وفي خلاصة هذه الدراسة نستنتج أن الطوبونيميا علم مستحدث يخدم العديد من العلوم، كما أنه حلقة الوصل التي تربط لنا بين التاريخ و الأدب وهذا ما جعل التنسيق بينهما يتخذ من الطوبونيميا آلية معتمدة في البحث الأدبي التاريخي ومن أهم النقاط التي يجب الوقوف عندها:
- اعتماد الجانب التاريخي في البحث العلمي باعتباره مصدر ثري بالمعومات و الأدلة التي تخدم البحث لأن الماضي أساس الحاضر ، والحاضر بناء المستقبل.
- الاهتمام بالطوبونيميا من قبل الطلبة و الباحثين والدارسين لأنها تحفظ وتصور الخصوصيات المجالية لكل منطقة.
- الربط بين العلوم الاخرى والطوبونيميا في أعمال أدبية وعلمية لتنمية و إثراء المعرفة التاريخية.

⁷ ينظر: وكالة الأنباء الجزائرية، النعامة " معركة مزي... من بطولات تاريخ الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي، أدرج يوم

2023/05/06، أجد من الموقع يوم 2023/12/21

⁸ ينظر: أحمد عقون، دراسة عامة لمدينة العين الصفراء، https://ainsafra.blogspot.com/2009/11/blog-post_1128.html

post_1128.html، أخذ من الموقع يوم 2023/12/18.



المراجع والمصادر

1- قائمة المصادر

1. عمار غريب ، قصيدة الجنوب الكبير، ديوان عبيق الصحراء ، موثق لدى الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة الجزائر ONDA ، الطبعة (الديوان قيد الطبع).
2. عمار غريب ، قصيدة نصف الطريق، ديوان عبيق الصحراء ، موثق لدى الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة ONDA الجزائر ، الطبعة (الديوان قيد الطبع).
3. عمار غريب ، عنوان الكتاب عبيق الصحراء ، موثق لدى الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة ONDA ، الجزائر ، الطبعة (الديوان قيد الطبع).

2- المذكرات والرسائل والأطروحات

1. عطوي شكري-الشافعي عبد اللطيف، البعد الطوبونيمي في رواية تاغيت لباديس فوغالي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، د أمينة بلهاشمي، المركز الجامعي صالح أحمد – النعامة، 2023/2022

3- المجلات والدوريات

1. الصادق زباني، التحولات الطوبونيمية بالمجالات الكتامية من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع، مجلة مدارات تاريخية، جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة، المجلد 1، العدد الرابع، ديسمبر 2019.
2. مجدوب موساوي، صورة لمدن الجنوب الغربي الجزائري في الفترة العثمانية من خلال المصادر التاريخية – مدن وادي الساور أنموذجا- ، مجلة الساور للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 7، العدد 1، 2021

4- مواقع الإنترنت:

- 1- أحمد شيخي ، نظام الري الجزائري " الفقارة" إرث تاريخي يخشى عليه سكان منطقة أدرار من الاندثار، روبرتاج فرانس 24 ، 2022 https://www.youtube.com/watch?v=K7_B2TfCKdA
- 2- أحمد عقون، دراسة عامة لمدينة العين الصفراء، https://ainsafra.blogspot.com/2009/11/blog-post_1128.html ، أخذ من الموقع يوم 2023/12/18.
- 3- علي سالم لفقيير ، أم العسل (تندوف) مبادرات للخروج من النسيان، موقع جزايرس djazairess.com ، 17-10-2012 أخذ من الموقع يوم 2023-12-18



4- ولاية تيسمسيلت، وزارة السياحة والصناعة التقليدية، مصمم من طرف مؤسسة دعم تطوير الرقمنة،

[/https://tissemsilt.mta.gov.dz](https://tissemsilt.mta.gov.dz) 2024

5- وكالة الأنباء الجزائرية، النعامة " معركة مزي... من بطولات تاريخ الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي،

أدرج يوم 2023/05/06، أجد من الموقع يوم 2023/12/21